قصدية الخطاب في سيرة آسيا جبار.

The intentionality of discourse in the biography of Assia Djabbar

محمدي حبيبة*

الأستاذ: سعيد عكاشة♣

تاريخ الارسال: 2022/02/21	تاريخ القبول:2022/03/09	تاريخ النشر: 2022/05/01

الملخص:

الفكرة الأساسية لهذه الورقة: هي الكشف عن البعد الاستراتيجي للمعرفة الأدبية، بوصفها أداة يعتمد عليها الاستعمار لتفكيك المجتمعات من الداخل..

إنّ سلطة المعرفة في الغرب لم تقم من دون الاعتماد على فعل الكتابة، هكذا تتحول السرود إلى معمل منهجي ينتج خطابا لصالح المصالح الاستعمارية، وعلى وفق لغة بارعة في تشكيل صورة الآخر لصهره في بوتقة الفعل التاريخي الغربي.

الكلمات المفتاحية: آسيا جبار، الفرنكوفونية، قصدية الخطاب، أداة سيطرة.

Abstract:

is to reveal the strategic dimension of literary knowledge, as a tool on which colonialism depends to dismantle societies from within..

The authority of knowledge in the West did not exist without relying on the act of writing, thus turning narrations into a methodological laboratory that produces a discourse in favor of colonial interests, and according to a skillful language in shaping the image of the other to melt it in the crucible of Western historical action.

***Key words**:Assia Djebar, francophone, intentionality of discourse, instrument of control.*

*** *** ***

المؤلف المرسل: محمدي حبيبة kadiimane54@yahoo.fr

*جامعة الجيلالي اليابس ـ سيدي بلعباس ـ kadiimane54@yahoo.fr

♣جامعة الجيلالي اليابس ـ سيدي بلعباس ـ okachasaid80@gmail.com

مقدمة:

عندما نشرت أسيا جبار روايتها الأولى "العطش" عام *1957* في باريس سمّاها الاستعمار(متمثلا في بعض دوائره أو مراكزه أو حتى مختفيا في أقلام أبناء البلد) بـ***فرانسواز ساجون*** الجديدة؟[1]

لماذا طمس الاستعمار هويتها الفردية في أولى خطواتها الإبداعية؟ ثمّ لماذا حظي هذا العمل على تواضعه وبساطته في الثقافة المضيفة منذ اللّحظة الأولى بترحاب واسع؟ من البديهي أن نسأل لماذا؟

إنّه نوع من أنواع التخريب الذي يمارسه الاستعمار على أفكارنا ليجرّد الثقافة الجزائرية من مفهومها الإسلامي وعمقها الحضاري، حتى يبقى الفكر غير مثمر والعمل السياسي أعمى، ربط رسالة الثقافة في الجزائر عبر تأثرها بالنّموذج الغربي. لأنّ قطب الرحى في كلّ معركة مع الاستعمار هو الفكرة.[2]

متبعا في ذلك طريقة الألعاب الإسبانية: يلوّحون بقطعة قماش أحمر أمام ثور هائج في حلبة الصراع فيزداد هيجانه بذلك. فبدلاً من أنْ يهجم على المصارع يستمر في الهجوم على المنديل الأحمر حتى تنتهك قواه. هكذا يجمّد الاستعمار القوات التي تناضل ضدّه عند نقطة معينة وتحت راية معينة، يعزل الفكرة ومعها يعزل المكافح الذي دخل المعركة تحت رايتها، فتضطره الظروف أن يدخلها بمفرده بصفته فدائيا، والنتيجة أنْ تُصوَّب عليه النّيران من كلّ جانب، وتُوجَّه له ضربات قاسية ولكلّ أفراد أسرته، الأمر الذي يؤثر في أعصابه ومعنوياته أكثر من الضربات التي يتلقاها في شخصه. وقد تحدّثت ***آسيا جبار*** عن الضربات التي تلقتها والدتها في عزّتها وكرامتها عندما طارد الاستعمار أخاها وسجنه وعذّبه وأصبح مهددا بالموت كلّ حين.

J'ai eu besoin de le dire. De même plus tard, quand elle enlève voile et qu' elle va visiter mon frère dans les prisons, je l'ai vue autrement. C'était une femme qui avait l'habitude du voile mauresque, un voile citadin avec de la soie, de la moire, cela lui donnait vraiment un style à elle dans ses habits. Puis, quand elle a trente-huit ans, puisque son fils unique est enfermé dans des prisons françaises, elle trouve la force d'enlever sa parure traditionnelle, de s'habiller à la française. Comme elle a sa fierté, il faut qu'elle paraisse être une

Française élégante ; c'est comme cela qu'elle se présente à la prison de Nancy. Elle demande à voir son fils. On la regarde d'un air suspect, finalement le directeur la reçoit. Ainsi s'opère cette transmutation des corps ou de la voix, ce n'est pas simplement un problème de mode ou d'apparence. Quand une Indienne ou une Africaine du Mali d'un coup dans l'émigration enlève ses habits traditionnels, elle devient une prolétaire. Aussitôt après, dès qu'elle remet ses voiles, toute sa culture revient avec elle.[3]

إنّ الخطر الذي يهدّد الاستعمار أنْ يرى الشعب المستعمَر يتولّى بنفسه الحياة السياسية، أمّا إذا صدر كتاب أو نشر مقالة أو انتشر حديث، فيُصعق ويصارع إلى احتواء كلّ هذا، وتفريغه من محتواه. إنّه الصراع الفكري، سواء وعت ***أسيا جبار*** بهذا في تلك المرحلة، أم لم تعيه، لكنّها حتما تكون قد اكتشفته لاحقا، بعد أن وصلتْ إلى نقطة اللارجوع. وحينها تكون قد حسمت أمرها.

«(...) je prends consiene de mon choix définitif d'une ériture francophone qui est pour moi alors, la seule de nécessité : elle où l'espace en français de ma langue d'é rivain n'exlut pas les autres langues maternelles, que je porte en moi, sans les écrire».[4]

لا أحاول هنا، أن أسوّغ شيئا ولا أن أدافع عن شيء، إلاّ أن ننظر إلى هؤلاء الرواد في إطار تاريخي، نظرة تأخذ في حسبانها طبيعة الأسئلة التي طرحتْ عليهم في إطار التحدي الحضاري الذي عاشوا في إطاره: ما بين حضارة غازية حققت القوة القاهرة على مستوياتها جميعا، العسكرية والاقتصادية والسياسيّة (في إطار مفهوم "التقدم") وحضارة ـ هم من أبنائها ـ مقهورة على المستويات جميعا كذلك (في إطار مفهوم "التخلف"). هل يكون السؤال عن سر تقدم تلك الحضارة وتخلف هذه، بعيداً؟ وهل يكون التفتيش عن هذا السر في ثقافتهما غريبا؟ بل هل يكون الإعجاب بثقافة "المتقدمين" وبنيتهم الحضارية مفاجئا؟

بالطبع عندما تثار هذه الأسئلة وغيرها نجد أنفسنا مجبرين على الحديث عن التاريخ والحضارة والفكر والسياسة والأدب والثقافة، لأننا نتحدّث عن الأنسان وعن مصالحه ومثله، وعن القضايا التي تمسّ حياة أجيال قادمة، فهي إذاً قضايا قديمة جديدة.[5]

واللغة الفرنسية ليست غنيمة حرب كما روّج لذلك البسطاء، اللغة أداة إدراك العقل لهذا العالَم، باعتبارها طريقة للرؤية، وقد فهم الفيلسوف الجزائري المولد، ***جاك بيرك*** هذا

البعد للغة عندما قال «لا تصلح اللغة للتواصل، بل تصلح للوجود».[6] لأن اللغة تشرط التفكير وتفرض المنهج فحسب، بل لأنّ تفاعل الكاتب لا يمكن أن يتمّ إلاّ مع الناطقين بهذه اللغة سلبًا أو إيجابًا، وهناك تحاشد في آراء الباحثين والمفكرين العرب وغير العرب لتأييد هذا الرأي، في كون اللغة هوية وليست مجرد أداة تواصل.[7]

«Une langue ne sert pas à communiquer, elle sert à être» Ces propos expliquent les conduites de l'être humain à défendre et protéger d'une façon vulnérable sa propre langue non seulement comme moyen de communication mais aussi comme gage de son identité et de son appartenance à un groupe:.. cette réflexion de Jacques Berque1 exprime bien le lien profond de la langue à l'identité. La question est de se demander par quel détour l'individu trouve dans la langue un ancrage pour son identité ....p266.

لا بل ***بيرك*** أضاف في أحاديثه، (بعد قرابة خمسة عشر عاماً على استقلال الجزائر) قولاً: «إنّه لو أراد الكتّاب الجزائريون الكتابة بالعربية لحصلوا على الدكتوراه بها بعد عقد ونصف من استقلال بلدهم!» على أنّ زوايا النظر إلى مشكلة اللغة قد اختلفت في عصر العولمة، إلا أنَّ شرعية السؤال لا تزال قائمة رغم كلّ شيء، ولاسيما حين يختار كاتب جزائري اليوم وهو ليس مضطراً إلى الكتابة بلغة غير العربية أن يكتب بلغة جلاديه.

هذا البعد الذي أدركه ***بيرك*** أدركه أيضا الأديب الهاييتي البارز ***إدموند لافوريست*** *Laforest*عندما أقدم عام *1915* على الانتحار بطريقة رمزية فريدة؛ لقد ربط إلى عنقه نسخة ثقيلة من قاموس لاروس الفرنسي وألقى بنفسه من أعلى جسر إلى مياه النهر الموحلة، وكان بذلك يعلن أنّ اللسان الأوروبي الذي يستخدمه في الكتابة والتعبير هو بمثابة أثقال مقيّدة في الحياة وأثقال مقيّدة ضامنة للموت».[8] وكان اختياره للقاموس، وليس أي كتاب فرنسي ثقيل آخر، دلالة على المحتوى الرسمي للغة كأداة كونية استعمارية قاهرة.

ويروي لنا هومي بابا*Bhabha*حكاية أخرى، تحيلنا على المغزى الوجودي للغة، هذه الحكاية المستقاة من سجلات "الجمعية التبشيرية الكنسية" في الهند: عام *1817*، في ضواحي مدينة دلهي، اقترب واعظ مسيحي من مجموعة هنود تحلقوا لدراسة الكتاب المقدس. الهنود هؤلاء وافقوا على أنّ الكتاب معجزة ربانية وكلام الله، ولكنّهم تساءلوا عن كيفية وصول الكتاب إليهم، وعن "الصاحب" الذي طبعه ووزّعه، فاكتشفوا أنّ ذلك

الصاحب هو ممثل التاج البريطاني المستعمر، وأنّه (بعكس الكتاب) أبعد ما يكون عن الاعجاز الإلهي: إنّه غريب، آكل للحم، شارب للخمر، قاس ومتعجرف، ولكي يستردّ الواعظ سلطته الروحية على الهنود، اضطر الى نفي صلته بذلك الصاحب.

ولنا من الحضارة الإسلامية نموذج أخر، يؤكد أنّ اللغة هي المظهر المادي والملموس للهوية، وإلاّ فما معنى أن يعتبر العرب عشرات بل مئات الكتّاب ذوي الأصول الفارسية والتركية والهندية أو سواها عرباً؟ أليس لأنهم كتبوا بالعربية بصرف النظر عن أصولهم؟[9]

الفرنكفونيَّة أداةٌ وسلاحٌ ماضٍ في هذه الحرب الفكرية القديمة المعلنة على اللُّغة العربية والثَّقافة الإسلاميَّة، ويتعاظم خطر هذا التَّحدِّي الفرنكفونيّ باستخدام فرنسا "جنوداً مجنَّدة" من أبناء إفريقيا أنفسهم للقيام بهذه الحرب؛ وذلك بطرق نفسية.

وأحسن من مثّل إرادة الاستعمار، ***آسيا جبار*** في كلّ كتاباتها خصوصا رباعيّتها السيرية، حيث يقوم السرد عندها على الربط المحكم بين مسائل الثقافة ووضع المرأة في المغرب العربي الكبير، من خلال وضع المرأة في الجزائر، وما يُقال في هذا الربط كثير وكثير جداً.

بعد أن تكشف ***آسيا جبار*** عن دوافعها القريبة والبعيدة ـ عبر المقدمة- في رباعيتها السيريّة "الحب والفانتازيا *L'amour, la fantasia* "الواسع هو السجن" *Vaste est la prison* "لا مكان في بيت أبي" *Nulle part dans la maison de mon père* بعيداً عن المدينة" *Loin de Médine*.

بعد هذا الكشف، تقدّم شخصية الجزائر وشخصية إفريقيا عبر سؤال: الجزائر من الشرق أم من الغرب؟ وأنا لا أريد بالطبع الشرق الجغرافي ولا الغرب الجغرافي، وإنّما أريد الشرق والغرب الثقافي، ففي العالم نوعان من الثقافة، يختلفان أشد الاختلاف، ويتصل بينهما صراع بغيض، ولا يلقى كلّ منهما صاحبه إلاّ محارباً أو متهيئاً للحرب. أحد هذين النوعين، هذا الذي نجده في أوروبا منذ العصور القديمة، والآخر هذا الذي نجده في الشرق، وأقصى الشرق منذ العصور القديمة أيضاً.. فهل العقل الجزائري والمغاربي شرقي التصوّر والإدراك والفهم والحكم على الأشياء، أم هل هو غربي التصوّر والإدراك والفهم والحكم على الأشياء؟ على هذا المنحى يتكئ إبداع آسيا جبار، فهي لا تُنْسِبُ نفسها إلينا فلماذا ننسبها نحن إلينا؟

وظّفت المخيال المغاربي لإثراء لغة المستعمر، وهي في هذه الوظيفة لا تختلف عن ***بول بلوز*** الذي سرق التراث المغاربي من أفواه رواة طنجة.[10]

فقد طوّعت المحليّة لتجعل منها سلاح راديكالي يخدم ثقافة الغير، كما رسّخت صورة المثقف المستعمِر المالك لكلّ شيء، والعالم بكلّ شيء، مثل ما جاء في رواية "ظل السلطان" فشخصية حجيلة وإسمى كلهما من عالم يناقض الآخر. فتعددية الأنا وتعددية الآخر، مجزأة من رهانات المستعمَر والمستعمِر، مثّلت الشرق شخصية حجيلة المحافظة، ومثّلت الغرب، شخصية إسمى المتمردة والمتحرّرة من كلّ شيء، فالأحداث السردية ترسم ملامح عالمين مسكونين بإيجابية الاستعمار وسلبيّة حجيلة الممثّلة للشرق.

أيضا في "الحب وفانتازيا" عندما كانت تتكلم عن العلاقات العاطفية التي جمعت بنات الدّركي بأبناء الفرنسيين المقيمين جوارهم، وحتى في النظرات الشهوانية التي كانت في عيون جنود وضباط الاستعمار لحرائر الجزائر، متمثلة في شخصية شريفة، صورت الحب الغير متكافئ، بحيث المستعمِر دائما هو المناح، وهو الوجه الجميل ...مثلما شبهت الجزائر بالمرأة الشرقية يغتصبها الفرنسيين، ووصفت أفريقيا وصفا دقيقا في "الحب وفنتازيا" وكأنّها تُغتصب من جنود فرنسيين، وتتلذّذ إفريقيا بهذا الاغتصاب، وتساعد المغتصب على ذاتها.. دون مقاومة تُذكر.. فتتخطى الشخصيات مستواها النصي المباشر، حيث تقطّع نسيج الحكاية وتمزقها إلى شذرات متناثرة لشخصية الجزائر وشخصية أفريقيا، فتصوّر الجزائر وإفريقيا، في صورة الضعيف والغبي والمسلوب، وبالمقابل كرّست امبريالية الغرب عندما صنعت من الغربي صورة البطل المثقف الساعي للخير .. والإيجابي دائما.

أمّا في "بعيداً عن المدينة" فقد أدلت بدلوها في التاريخ الإسلامي، وكانت الرواية الفرانكفونية مع أسيا جبار، أكثر جرأة في اقتحام هذا المضمار، التي ظهرت في مطلع التسعينات في ظروف خاصّة عرفتها الجزائر، فجاءت بمثابة قراءة ضمنية للأوضاع السياسية للجزائر في هذه الفترة. وكأنّها تريد أن تقول أنّ الإسلام هو الذي يجرّ الأمة إلى الخلف، ابتداءً من عنوان الرواية.

العنوان وحده يوحي أنّ الكاتبة تنسلخ من تراثها، ولا تعتمد في قراءتها على التاريخ الرسمي الذي كتبه المؤرخون المسلمون، وإنّما تقوم على وضع هؤلاء المؤرخين موضع تساؤل وشك، معتمدة في ذلك على المستشرقين وعلى دراسات الدوائر الاستعمارية.

شككت *آسيا* في حقيقة الصورة التي رسمها المؤرخون المسلمون للمرأة... وخلُصت إلى نتيجة حسب رأيها، وهو أنّ التاريخ الإسلامي في هذه القضية تاريخ موجه. ومن ثمّة فهي لا تأخذ رواياتهم، وإنّما تقوم بتفكيكها وإعادة تركيبها ووضع علامات استفهام حول نتائجهم.

وما يلفت انتباه فيهذه الرواية، هو ميل الكاتبة إلى ترسيخ المنظور السلبي من خلال التركيز على مسيلمة في المشهد، وجعله المحرك الأساسي للأحداث والوقائع، في مقابل التقزيم الواضح لدور المرأة، (الذي تمثِّله شخصية سجاح في الرواية) التي يظهرها السرد في صورة الضحية العاجزة عن أخذ زمام المبادرة والتحكم في مصيرها، حين تستسلم له بهذه السرعة خوفا من تركها.[11]

... ومن هنا، ندرك أن *آسيا جبار*، ليست بصدد كتابة تاريخ ، بقدر ما تحاول أن تقدّم وجهة نظرها، والتي هي الرؤية الأنثوية لرؤية العالم في مسألة من أشد المسائل تعقيدا، في إطار تخيّلي إبداعي فني، موظّفة ثقافتها الحداثية وقراءتها التفكيكية، وإعادة كتابة بعض الحلقات من وِجهة نظرها هي مغيبة ومهمشة، وتريد أن تجهر بهذا المحظور والمسكوت عنه من وجهة نظرها، في وجه المنظومة الاجتماعية والمؤسساتية والمذهبية المتمكّنة، على اعتبار أنّ الحقائق المطلقة غير موجودة، وأنّ التحوّل هو الأصل في التاريخ الإنساني. معتمدة في ذلك على التخييل الإبداعي والحدس الفني لإثارة الأسئلة المحرجة لزعزعة ما تراه أفكارا متزمّتة.[12]

لسنا في وضع نحكم فيه، إن كان هذا التاريخ صحيحا أو غير صحيح، لكن من المهم أن أقول أنّ الرواية تقترح تاريخا مغايرا للنظرة التبجيلية السائدة.

جبار تريد أن تقول أنّ المرأة تمّ تغييبها من طرف المؤرخين المسلمين، بسبب النسق الثقافي المستحكم، القائم على التوحيد، والاستماع لوجهة نظر واحدة فرضتها القوة، قوة الدين وقوة الرجل... . ومن ثمّة فهي تعتمد على المغيب والمهمش والمسكوت عنه في هذا التاريخ، وتجعل منه النواة الحقيقية لمنظورها السردي وعالمها التخييلي الذي يحدد رؤيتها للعالم.[13]

فإبداع *آسيا جبار* جهد نظري أو عملي يهدف إلى مراجعة النظام السائد في بنيات المجتمعات الإسلامية، ومساءلته ونقده أو تعديله، وذلك من خلال إسقاط قوامة الرجل وأهليته، تحت غطاء الدفاع عن المرأة المهضومة الحقوق.

وكتاباتها تستند كلّها على التاريخ، تبرز صور التخلف في المجتمعات العربيّة الاسلامية، والتقدم المادي هو البديل لهذا التخلف، تقدم بلا مرجعية، أو هو مرجعية ذاته ثم يصبح هو الوسيلة والغاية.

لقد طرحت إبداعها من وجهة المنهج النسوي في رؤيته للعالم، والسرد النسوي[14] استرتيجية أدبية لتخريب المجتمعات من الداخل لتسويغ السياسات الاستعمارية التي تعمل بقوة على تغيير ثقافات الشعوب المستعمَرة وأديانها

النسوية التي تدعو لتحرير المرأة من المعتقد الديني، وبالمقابل إعطائها حقوقها، هذه الحقوق تتمثّل في حق المرأة في الإجهاض، حيث يمثل هذا الحق ركيزة أساسية من ركائز الفكر النسوي،[15] وهذا الحق تكفله المنظمات الدولية بحكم الاتفاقيات المبرمة.[16]

ومن حق المرأة أيضا استقلالها عن الرجل واستغنائها عنه تماما. وتكوين رؤية للعالم وللكون وللإنسان من خلال هذه المنهج الفاسد.

هؤلاء الذين ربّتهم المؤسسة الاستعمارية، فأعادوا لها الجميل بتبني الفكر الغربي الفاسد، والتزموا بنشره في مجتمعاتهم، وبموازاة إلزام الأنظمة الوظيفية على تطبيق هذه الأفكار وهذه التّصورات وهذه المناهج، عن طريق اتفاقيات دولية تقرّها الأمم المتحدة والمجالس والهيئات التابعة لها، حيث تلزم الأمم المتحدة الحكومات والمنظمات بإلزاميّة تنفيذ بنود التوصيات والمعاهدات الخاصّة بالمرأة.

وهكذا تتمّ زحزحة المسلم عن التعاليم الدينية النابعة من الرسالات السماوية التوحيدية، التي ترفض الحرية الجنسية سواء القائمة على اختلاف النوع أو القائمة على الجنسية المثيلية، حتى يكون الطريق ممهدا لوضع وصياغة دين وثني نسوي جديد يعطي للمرأة مكانتها اللائقة بها، من وجهة نظر هذا الفكر. ويقدم للمرأة حياة روحية جديدة تقوم على شكل من الوثنية وعبادة الذات.

هذا هو منحى الرواية الفرانكوفونية في المغرب العربي، ممثلة في طرح *آسيا جبار*، حيث تهجر بالتدريج الأطروحة التراثية، التي تقف عند رؤية دينية، فيها الإنسان مركز للكون وللتاريخ، لتنخرط في عمق الواقع العلماني الغربي، أي في عمق تجاوز التاريخ، وتجاوز الفطرة، وتجاوز القواسم الإنسانية المشتركة، لتقدّم الإنسان المعلب المهزوم، المنصهر في بوتقة الفعل التاريخي الغربي.

وهنا يحضر لي سؤال الضيافة داخل لغة الغير، كيف انتقلت *آسيا جبار* من كونها رقم من حريم نساء المغرب العربي، إلى عضو الأكاديمية الفرنسية الراسية على ضفاف نهر اللسان، وعضو ضمن مجلس الخالدين الفرنسي؟ للإجابة، علينا أن نتفق على أرضية مشتركة، فإذا اتفقنا جميعا على أنّه لا توجد معرفة بريئة، فالحياد النصي وهمٌ إيديولوجي والبراءة الفكرية ضرب من المستحيل، ما دام كلّ خطاب معرفي يهدف بالضرورة إلى تمرير حمولة إيديولوجية. إنّ الإيديولوجيا ثاوية في الخطابات جميعها، وليس ثمة خطاب من وجهة النظر هاته خالية من حمولة التوجيه القصري.

وعطفا على هذا فإنّ علاقة الفكر والأدب، في التقاليد المؤسسات الغربية، علاقة متينة محكمة منبثقة من ترابط عضوي وآيتها أنّه لم يشتهر أي أديب غربي إطلاقا منذ القديم حتى اليوم، إلاّ إذا كانت له وجهة نظر واضحة، أوشبه واضحة، اتجاه المصير والكون، أي كان له منحى فكري معين في تفسير مشكلات الوجود.

ولم يحدث أن أُشير إلى عظمة أي أديب كبير في تاريخ أوربا[17] على أنّها مجرد إبداع في الاستعارات والصور البيانيّة والتّشبيه، وتمكينٌ في اللغة، على ما لهذين المقومين من أهمية، وإنّما يُشار دائما إلى العظمة الأدبية على أنّها فهم للشرط التاريخي الذي فيه يتحرك مصير الإنسان، وتقديم مزيد من التفسير على النظريات السائدة في فهم طبيعة الأفراد والمجتمعات، وتحليل الواقع وتلمس خطوط المستقبل، أي أنّ المقوِّم الأوّل للعظمة الأدبية هو مدى ما يتكشّفه الأديب من رؤية متصلة بالكون والمصير والفرد والمجتمع وأسرار النفس والحياة والوجود.[18] والمقوّم الثاني هو التماهي المطلق مع الرؤى العلمانيّة الكارهة للإسلام، والتخندق المطلق مع مصالح المؤسسات الاستعمارية.

وينقل ***محمد نورالدين فاية*** عملية لسبر الأراء من داخل المجتمع الفرنسي، في كون نسبة كبيرة من داخل المثقفين والآكادميين الفرنسين، يعتبرون المغاربة الذين يكتبون بالفرنسية، أنهم يسئون لهذه اللّغة، حتّى وإن ولو برهنوا على تمكن من قاموسها ونحوِها وتركيبها. وإذا ما تكرّموا واعترفوا ببعض الأقلام المغاربة فإنّ اعترافهم غالبا ما يكون مرتبطا بحسابات السياسة الفرنسية.

ولأنّ آسيا جبار اجتمعت لها كلّ هذه الأسباب استحقت الكرسي الخامس في مجلس الخالدين الفرنسي.

«خلف حجاب محكم،كانت الفتاة الصالحة للزواج مختفية. حجاب يجعلها غير قادرة علي الرؤية أكثر من العميان، ويدمر بداخلها كل ذكري بالعالم بلا حجاب.

فماذا إذا تعلمت الكتابة؟ قد يكون بوسع السجان الذي يحرس جسدًا بلا كلمات والكلمات المكتوبة قادرة علي الانتقال أن ينام في سلام: فيفي بالغرض غلق النوافذ بالطوب، وإحكام غلق بوابة الروح، ونصب جدار خال من الكتابة نحو السماء.

وماذا لو قامت هذه الصبية الصغيرة بالكتابة؟سوف ينتشر صوتها ولو تم حجبه،عبر قصاصة ورقية،قطعة قماش مجعدة،يد خادمة في الظلام،طفل يطلع علي السر. وهكذا يصبح علي السجان أن يستمر في المراقبة ليل نهار. فالكلمة المكتوبة ستطير عبر الفناء،سيتم قذفها من سطح البيت. وفجأة تصبح زرقة السماء لا نهائية. فكل الاحتياطات لا قيمة لها».[19]

❊❊❊ ❊❊❊ ❊❊❊

الهوامش:

1فرانسواز ساجان أديبة فرنسية (1935-2004) بدأت الكتابة وعمرها 19 سنة. لمعت إلى جوار الوجوديين عندما نشرت روايتها الأولى صباح الخير أيها الحزن (رواية) سنة 1954 تتابعت رواياتها فأصدرت ابتسامة ما، في شهر سنة، درجة القلب، المرأة الشاحبة، فجر ساكن، المزيفون (رواية). اتجهت أيضاإلى التأليف المسرحي، فكتبت: قصر في السويد، المدخل المعاكس. لها كتاب عن سارة برنار. لها مجموعة قصصية بعنوان: عيون من حرير، وسيرة ذاتية بعنوان: مع أفضل ذكرياتي (نقلا من ويكيبيديا من موقعها على النات. *(https://ar.wikipedia.org/wiki).*

2 للمزيد من التوسّع في الموضوع : مالك بن نابي، الصراع الفكري في البلاد المستعمَرة، دار الفكر دمشق، سوريا، ط3، 1988.

3Lise Gauvin, L'écrivain francophone à la croisée des langues, entretiens ave Assia Djabar,P23.

4Assia Djabarre, Ces voix qui m'assiègent,P39

5 للتوسّع راجع: عبد الله ركيبي، الفرانكفونية مشرقا ومغربا، المقدمة.

6.Jacques Berque, Langages arabes du présent, p266.

7محمد نور الدين أفاية، المتخيّل والتّواصل مفارقات العرب والغرب، ص 105.

8 Bhabha Homi (1985), Signs Taken for Wonders: Questions of Ambivalence and Authority under a Tree Outside Delhi, May 1817, Critical Inquiry, 12.1

9 للمزيد من التوسع في الموضوع راجع: جاك بيرك، العرب تاريخ ومستقبل.

10 محمدي حبيبة، السيرة المغاربيّة في الأدب المعاصر، مخطوطة أطروحة دكتوراه.

11 بولفعة خليفة، الهوية والمرأة في أدب آسيا جبار.

12 بولفعة خليفة، تفكيك النسق وكسر المحظور، مجلة الأثر، العدد 20، جوان 2014، ص 182.

13 بولفعة خليفة، تفكيك النسق وكسر المحظور، ، ص 182.

14 لمن أراد أن يعرف مفهوم النسوية كيف ظهرت وكيف بدأت وكيف سيطرت وأهم ركائزها ومعرفة أهدافها وغاياتها ، فقد فصلت هذا في رسالة ماجستير ، محمدي حبيبة، الذاتية في أدب أسيا جبار، دراسة نقدية تحليلية، تحت إشراف عمارة بوجمعة، جامعة بالعباس 2017.

15 حق الاجهاض، والمثيلية الجنسية، وتأخير سن الوزاج..هي استراتيجيّة عملية تهدف لتقليل السكان تبعا لنظرية فيلسوف الارتكاس توماس مالتوس، والتي ترى ضرورة إفناء ستة مليار على الأقل من البشر ليعيش مليار واحد سماه المليار ذهبي .. وقد تبنّت المؤسسات العالمية التّابعة للمركز، منها منظّمة الصحة العالمية هذه النظرية فتّخذت استراتيجية تهجين الأغذية بهدف نشر الأمراض التي تفتك بالبشر مثل السرطان والامراض المزمنة وأمراض الغدد.. ونحن نرى اليوم نشر الأوبئة.. وتفعيل التلقيحات الاجبارية..

16 العقابي علي عودة، دراسات في الأصول والتاريخ والنظريات، ليبيا، ط1، 1996، ص73.

17 كل الأدباء الذين حازوا المرتبة العالمية يمكن أن يذكروا في هذا السياق بدءً من: دانتي، شكسبير غوته، تولستوي، دوستويفسكي، جورج برناردشو، مارسيل بروست، جيمس جويس، ارست همنغواي، ت.س.إليوت، ناظم حكمت، مكسيم غوركي، بابلونيرودا، لوي اراغون، وليام فوكنر، غابريل غارسيا ماركيز، إلخ...(هكذا عدّ صاحب الكتاب عمالقة الأدب قبل أن يثبت مقاله).

18ينظر، رينيه ولك وأوستن وارين، نظرية الأدب، ترجمة محي الدين صبحي، دمشق، 1973، فصل النقد والفكر، ص 141.

19 مقطع من الحب والفنتازيا.

المراجع:

1.مالك بن نابي، الصراع الفكري في البلاد المستعمَرة، دار الفكر دمشق، سوريا، ط3، 1988.

2.Under the Sign of Orientalism: The West vs. Islam Author(s): Mahmut Mutman Source: Cultural Critique, No. 23 (Winter, 1992-1993

3.Bhabha Homi (1985), Signs Taken for Wonders: Questions of Ambivalence and Authority under a Tree Outside Delhi, May 1817, Critical Inquiry.

4.جاك بيرك، العرب تاريخ ومستقبل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، القاهرة 1971.

5.محمدي حبيبة، السيرة المغاربيّة في الأدب المعاصر، مخطوطة أطروحة دكتوراه، تحت إشراف سعيد عكاشة، كلية اللغات بالعباس.

6.بولفعة خليفة، تفكيك النسق وكسر المحظور، مجلة الأثر، العدد 20، جوان 2014.

7. رينيه ولك وأوستن وارين، نظرية الأدب، ترجمة محي الدين صبحي، مراجعة حسام الخطيب، المجلس الأعلى للآداب، دمشق، 1973، فصل النقد والفكر.

8.عبد الله ركيبي، الفرانكفونية مشرقا ومغربا، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

9.محمد نورالدين أفاية، المتخيّل والتّواصل مفارقات العرب والغرب، ط5، دارالمنتخب العربي، بيروت 1993.
10.*Jacques Berque, Langages arabes du présent, Gallimard, Paris, 1974.*
11.*Lise Gauvin, L'écrivain francophone à la croisée des langues, entretiens ave Assia Djabar, karthala éditions, 2 °edition, 2006 France, p23.*
12.*Assia Djabarre, Ces voix qui m'assiègent, Albin Mihel 1999.*